إعداد: ليلى الشافعي

إن العقول والألباب، مضطرة لمعرفة أسماء وصفات رب الأرباب، فضرورتهم إلى ذلك أعظم من ضرورة صاحب البذرة إلى قطر السماء إذا غرسها في التراب.

بل الضرورة إلى معرفة ذلك أعظم من ضرورة الأبدان إلى الأرواح، والعيون إلى النور الوضاح.

فأي ضرورة وحاجة فرضها العباد، فإن ضرورتهم وحاجتهم إلى معرفة أسماء وصفات الكريم الجواد فوق ذلك بالإحصاء والتعداد.

لأنه لا سبيل في العاجلة إلى السعادة والنجاح، ولا طريق في الآجلة إلى الأنس والفلاح إلا في التعرف على الرب الكبير المتعال، وما له من أسماء الجمال، وصفات الكمال، ونعوت الجلال.

وإذا كانت سعادة العبد في الدارين، معلقة بمعرفة الحميد المجيد حقا بلا مَيْن وجب على كل من نصح لنفسه وأحب نجاتها، ورام نعيمها وسعادتها أن يعرف من القريب المجيب جميل أسمائه، حتى يتقرب إليه بعبادته ودعائه.

وقد ندب الواحد القهار، وحث ورغب العزيز الغفار، عباده وأولياءه الأبرار، فقال في خطابه المشنف للأسماع، وكلامه المهذب للطباع، وكتابه الداعي إلى الاتباع: (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون).

ودعاء الله تعالى بهذه الأسماء: لا يتأتى للعبد إلا بعد أن يعرف مراتب الإحصاء، التي جاء في الحديث الشريف الحث عليها، وتضمنت السنة النبوية المطهرة الإرشاد إليها، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة).

وهذا الإحصاء المحمود، الموعود عليه بجنة الخلود: يكون بحفظ ألفاظ هذه الأسماء، ثم بفهم معانيها الغراء، ثم بدعاء الله تعالى بها مع صدق الالتجاء، إما دعاء عبادة وثناء، وإما دعاء مسألة وعطاء.

وتفسير ذلك ما جاء في السنة النبوية الشريفة، والأدعية المصطفوية المنيفة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «قلت: يا رسول الله، أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟ فقال رسول الله ﷺ: قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو: فاعف عني).

فتأمل كيف أرشد النبي ﷺ زوجه رضي الله عنها: أن تقدم بين يدي الدعاء، في الرغبة والرجاء: المدح والحمد والثناء، على رب الأرض والسماء، وأن تنتخب من أسمائه الحسنى ما يستدعيه المقام من الأسماء.

فقول النبي ﷺ: «اللهم إنك عفو»: يتضمن المرتبة الأولى من مراتب الإحصاء، وهي مرتبة حفظ ألفاظ هذه الأسماء.

فقول النبي ﷺ: «تحب العفو»: يتضمن المرتبة الثانية من مراتب الإحصاء، وهي مرتبة فهم معانيها الجميلة الجليلة الغراء.

فقول النبي ﷺ: (فاعف عني): يتضمن المرتبة الثالثة من مراتب الإحصاء، وهي مرتبة دعاء الله تعالى بها مع صدق الالتجاء.

ومن رام إحصاء أسماء الله الحسنى، والثناء على الله تعالى بها الثناء الأسنى: فعليه بإدامة النظر في كلام الله الكريم، والتفقه في سنّة نبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فمعرفة الله تعالى بأسمائه الجميلة، والتقرب إليه بمطالعة أوصافه الجليلة: هي حياة الروح وطمأنينة الفؤاد، وأنس وسرور وقرة عيون العباد، وهي الجنة التي من دخلها في الحياة الأولى العاجلة: فهو موعود بدخول الجنة في الحياة الآخرة الآجلة، ومن حرم لذتها وما فيها النعيم: فهو في معيشة ضنك وعذاب عظيم.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

شهر الانتصارات

معركة البويب من المعارك الحاسمة في تاريخ المسلمين

في الثاني عشر من رمضان عام 13 للهجرة وقعت معركة البويب بين المسلمين والفرس بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني، وذلك في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ومعركة البويب الواقعة قرب مدينة الكوفة تعد من المعارك الحاسمة في تاريخ المسلمين وتقاس بيوم اليرموك لأنها اذنت للمسلمين ان ينساحوا في ارض العراق وكان قائد المسلمين يومها المثنى بن حارثة الشيباني، وهو من بني شيبان من بكر بن وائل، فعندما اسلم المثنى بن حارثة كان يغير هو ورجال من قومه على تخوم ممتلكات فارس، فبلغ ذلك أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فسأل عن المثنى، فقيل له: «هذا رجل غير خامل الذكر، ولا مجهول النسب، ولا ذليل العماد»، وعندما قدم المثنى الى المدينة المنورة، قال للصديق: «يا خليفة رسول الله استعملني على من اسلم من قومي اقاتل بهم هذه الأعاجم من اهل فارس» فكتب له الصديق عهدا.

وحدثت هذه المعركة بعد هزيمة المسلمين في معركة الجسر امام الجيش الفارسي، وكانت انباء هزيمة الجسر ثقيلة على المسلمين، حتى ان عمر بن الخطاب ظل اشهرا طويلة لا يتكلم في شأن العراق، نظرا لما اصاب المسلمين هناك، ثم ما لبث ان اعلن النفير العام لقتال الفرس في العراق، فأعيد تجميع القوات الإسلامية لتنضوي تحت لواء المثنى بن حارثة، وحشد القائد الفارسي رستم مائة الف من الفرسان والمشاة وعددا من الفيلة. عين رستم مهران بن باذان قائدا عاما للجيش وقد كان يعرف العربية وكان والده باذان مسلما قاتل في جيوش الردة. وزحف الجيش الفارسي من المدائن الى الحيرة لملاقاة جيش المسلمين، واكتمل صف المسلمين تحت امرة المثنى بن حارثة، فتوافوا بمكان يقال له البويب قريب من مكان الكوفة اليوم وبينهما الفرات، قالوا: اما ان تعبروا الينا، او نعبر إليكم، فقال المسلمون: بل اعبروا الينا فعبرت الفرس اليهم فتوافقوا، وذلك في مثل هذا اليوم 12 رمضان.

فعزم المثنى على المسلمين في الفطر فأفطروا عن آخرهم ليكون اقوى لهم، وعبأ الجيش وجعل يمر على كل راية من رايات الامراء على القبائل ويعظهم ويحثهم على الجهاد والصبر والصمت، وفي القوم جرير بن عبدالله البجلي في بجيلة وجماعة من سادات المسلمين. وقال المثنى لهم: اني مكبر ثلاث تكبيرات فتهيأوا، فإذا كبرت الرابعة فاحملوا، فقابلوا قوله بالسمع والطاعة والقبول، فلما كبر اول تكبيرة عاجلتهم الفرس فحملوا حتى غالقوهم، واقتتلوا قتالا شديدا وبعث المثنى اليهم يقول: يا معشر المسلمين عاداتكم، انصروا الله ينصركم، وجعل المثنى والمسلمون يدعون الله بالظفر والنصر. فلما طالت مدة الحرب جمع المثنى جماعة من اصحابه الأبطال يحمون ظهره، وحمل على قائد الفرس فأزاله عن موضعه حتى دخل الميمنة. وحمل المنذر الضبي على مهران قائد الفرس فطعنه واحتز رأسه جرير البجلي، وهرب جنود الفرس، وسبق المثنى بن حارثة الى الجسر فوقف عليه ليمنع الفرس من الجواز عليه ليتمكن منهم المسلمون، فركبوا اكتافهم بقية ذلك اليوم وتلك الليلة، ومن بعد الى الليل، وغنم المسلمون مالا جزيلا وطعاما كثيرا، وبعثوا بالبشارة والأخماس الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتمكن المسلمون من الغارات فيما بين الفرات ودجلة فغنموا شيئا عظيما لا يمكن حصره، وقد خاض المثنى بن حارثة المعركة وهو يشكو من اصابات سابقة لحقت به من معركة الجسر السابقة وشاءت ارادة الله ان يفارق المثنى بن حارثة الحياة بعد تلك المعركة متأثرا بالجراح التي اصيب بها يوم معركة الجسر السابقة.

سرية زيد بن حارثة إلى أُم قرفة بوادي القرى

ومن سرايا هذا الشهر المبارك: سرية زيد بن حارثة إلى أُم قرفة بناحية من نواحي وادي القرى، على سبع ليال من المدينة، في شهر رمضان سنة ست من هجرة رسول الله ﷺ.

قالوا: خرج زيد بن حارثة في تجارة إلى الشام ومعه بضائع لاصحاب النبي ﷺ فلما كان دون وادي القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم، ثم استل زيد وقدم على رسول الله ﷺ فأخبره فبعثه رسول الله ﷺ إليهم فكمنوا النهار وساروا الليل، ونذرت بهم بنو بدر ثم صبحهم زيد وأصحابه فكبروا وأحاطوا بالحاضر وأخذوا أم قرفة، وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر، وابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر، فكان الذي أخذ الجارية مسلمة بن الأكوع فوهبها لرسول الله ﷺ فوهبها رسول الله بعد ذلك لحزن بن أبي وهب، وعمد قيس بن المحسر إلى أم قرفة، وهي عجوز كبيرة، فقتلها قتلا عنيفا: ربط بين رجليها حبلا ثم ربطها بين بعيرين ثم جرهما فذهبا فقطعاها، وقتل النعمان وعبيد الله ابني مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر، وقدم زيد من حارثة من وجهة ذلك فقرع باب النبي ﷺ فقام إليه يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله فأخبر بما ظفره الله به.

من روائع الخط العربي

خلقت مبرأً من كل عيب كأنك قد خُلقت كما تشاء

الخطاط بزار الأربيلي - العراق
ثلث حلبي - حبر أسود على ورق مطلي
العمل موزع على كتلتين، الجزء السفلي هو الأساس يشبه المثلث، والجزء العلوي يشبه شكل النقطة، اعتمد فيه على تقليد دارج بين الخطاطين يسمى (بالتسويد)، حيث يعمد الخطاط الى كتابة الكلمات بشكل متكرر مع وضع القواعد والنقاط.

السماحة

السماحة وحسن المعاملة، واستعمال اللين من مكارم الأخلاق، والسماحة محببة للنفوس، وهي بذل ما لا يجب تفضلا، وتسمح الرجل: تكلف السماحة اي التساهل والكرم، واصل السماحة السهولة في الأمر، وذلك لان سخاء النفس وسعة الاخلاق والرفق بالمعاملة من اسباب البركة، والعسر يذهبهما ويوجب الشؤم والخسران.

للمسامحة ثلاثة معان هي:

الأول: بذل ما لا يجب تفضلا

والثاني: الجود عن كرم وسخاء

والثالث: التسامح مع الغير في المعاملات المختلفة ويكون ذلك بتيسير الامور والملاينة فيها وسماحة المسلمين تبدو واضحة في تعاملاتهم المختلفة سواء مع بعضهم أو مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى بل ان سماحة الاسلام لا مثيل لها في دين سماوي آخر وكيف لا يكون كذلك وقد بعث رسول الاسلام محمد ﷺ للناس كافة وجاء ليستوعبهم جميعا.

ويتميز المؤمن بسماحة النفس وهو هين لين يتقبل ما يجري به القضاء والقدر بالرضا والتسليم، ويحاول ان يجد لكل ما يجري به ذلك حكمة مرضية وان كان مخالفا لهواه ويراقب دائما قول الله تعالى: (فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) (النساء: 19)، وهو من اجل ذلك يستقبل كل ما يأتيه من قبل الله عز وجل في غاية الرضا، ويلاحظ جوانب الخير في كل ما تجري به المقادير، وهو لذلك يترقب المستقبل بتفاؤل وأمل كما يستقبل الواقع بانشراح لما يحب واغضاء عما يكره وبذلك يسعد نفسه ويريح قلبه، وهذا من كمال العقل، لأن العاقل هو الشخص الواقعي اي الذي يسعد نفس وقلبه بالواقع الذي لا يملك دفعه او رفعه، ويعامل الناس بالتسامح لأنه لا يملك ان يطوع الناس جميعا لما يريد لأنهم مثله ذوي طبائع متباينة وارادات مختلفة.

قال العلامة الالباني: وعلى المشايخ وكل داعية الى الاسلام: ان يكونوا مصداق قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم امة وسطا)، وقوله: (كنتم خير أمة اخرجت للناس)، حذرين من الوقوع في الغلو المنهي عنه في قوله ﷺ: «اياكم والغلو في الدين؛ فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»، ولا يمكن ان يتحقق ذلك الا بنبذ التعصب المذهبي، ودراسة السنة والسيرة النبوية الصحيحة من قول وفعل وتقرير، مع الاهتمام بمعرفة ما كان عليه السلف.

وقد ورد في السماحة طائفة من الاحاديث الصحيحة منها: قول الرسول ﷺ «اسمح يسمح لك» رواه احمد (248/1) بسند صحيح.

وعن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - ان رسول الله ﷺ قال: «رحم الله رجلا سمحا إذا باع، وإذا اشترى، واذا اقتضى» رواه البخاري (2046).

وعن ابي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء، الا انه كان يخالط الناس وكان موسرا، فكان يأمر غلمانه ان يتجاوزوا عن المعسر، قال: قال الله - عز وجل: نحن احق بذلك منه، تجاوزوا عنه» رواه مسلم (1561).

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قيل لرسول الله ﷺ: اي الاديان احب الى الله قال: «الحنفية السمحة» رواه البخاري في الأدب المفرد والحديث حسن لغيره.

ومن ظواهر سماحة النفس: اولا: طلاقة الوجه واستقبال الناس بالبشر، وهذا هدي النبي ﷺ والشواهد في ذلك كثيرة، وثانيا: مبادرة الناس بالتحية والسلام والقول الحسن بالمحادثة وكل من يكون سمح النفس يبادر الى ذلك، وثالثا: حسن المصاحبة والمعاشرة والتغاضي عن الهفوات ايا كانوا اهلا او اصدقاء او غرباء، والتغافل وعدم تضخيم الامور.

ومن الوسال الناجحة لاكتساب هذا الخلق الحميد ما يلي:

التأمل في الترغيبات التي رغب الله فيها من يتحلى بهذا الخلق، وتأمل الفوائد التي يجنيها سمح النفس في العاجل والاجل.

التأمل في المحاذير التي يقع فيها نكد النفس، وما يجلبه ذلك من مضار ومتاعب وخسائر مادية ومعنوية.

وقد تمثلت السماحة في تصرفات قادة الفتوحات الاسلامية من اصحاب رسول الله ﷺ وامرائه وولاته وتلاميذهم من التابعين وتابعيهم فقد كانوا احرص على الرفق والسماحة في تنفيذ العهود والمصالحات مما جعل المعاهدين والمصالحين يتعاونون مع المسلمين في صدق واخلاص، نتيجة لما رأوه من العدالة الرحيمة في معاملة المسلمين لهم.

وان تطبيق سماحة الاسلام من اعظم اسباب سرعة انتشاره، وفي هذه السياسة الحكيمة الرحيمة اوضح اجابة عن تساؤل المتسائلين عن اسباب السرعة الهائلة التي انتشر فيها الاسلام، والسماحة محمودة في الفرد، وكذلك في الجماعة وهي مطلوبة من الجميع حاكما أو محكوما.

قال الشافعي:

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى
ودافع ولكن بالتي هي أحسن